أوباما إذ يكذِّب بوتين.. هل أصبحت سورية بؤرة للاستقطاب الدولي الجديد؟

الكاتب : محمود عثمان

التاريخ : 30 نوفمبر 2015 م

المشاهدات : 3975

في كلمته للصحافيين في موسكو قال الرئيس الروسي فلاديمير بوتين: "أبلغنا شركاؤنا الأميركيون بموعد ومكان عمل الطائرات الروسية، مع ذلك فقد أسقطت القوات الجوية التركية طائرتنا الحربية، وأضاف بوتين متسائلًا: السؤال المطروح هو لماذا نقلنا هذه المعلومات للأميركيين؟".

اللافت للانتباه أن وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) لم تعلق بشكل فوري على تصريحات بوتين، بل اكتفت بالقول إن روسيا قدمت إخطارًا أساسيًا للائتلاف الذي تقوده الولايات المتحدة ضد تنظيم داعش قبل بعض العمليات مثل إطلاق صاروخ كروز في 17 تشرين الثاني/ نوفمبر الجاري. لكن البنتاغون صرح فيما بعد بأن القوات التركية حذرت المقاتلة الروسية 10 مرات قبل إسقاطها، مؤكدًا التصريحات التركية بشأن تحذير الطائرة الروسية. كما أشار البنتاغون إلى أن اختراق المقاتلة للأجواء التركية دام لعدة ثوان، بعد أن نفت موسكو حصول أي انتهاك.

الأمين العام لحلف شمال الأطلسي "ينس ستولتنبرغ" من جهته عبر عن الالتزام بدعم أنقرة بعد أن أسقطت تركيا طائرة حربية روسية قرب الحدود السورية ورفض أي إشارة إلى أن الواقعة حدثت خارج حدود تركيا. ولدى سؤاله عما إذا كان هناك احتمال أن تكون الطائرة أسقطت داخل سورية قال ستولتنبرغ: "تتسق التقييمات المتطابقة المتوفرة لدينا مع معلومات وردتنا من تركيا." وأضاف: "نتضامن مع تركيا وندعم سلامة أراضي حليفتنا في حلف شمال الأطلسي."

المشهد أعلاه يؤكد بما لايدع مجالًا للشك أن الحرب الباردة والاستقطاب الدولي عاد من جديد، من البوابة السورية هذه المرة، وإن كان كثير من المحللين السياسيين ينفون انتهاءها بالأصل، ويدللون على ذلك بأن الأمريكان بدل أن يفككوا ويتلفوا صواريخهم الباليستية التي كانت موجودة في غرب أوروبا، قاموا بنقلها إلى دول أوروبا الشرقية، لتصبح على مقربة من الحدود الروسية.

أعتقد أن حربًا عالميةً منخفضة الوتيرة هي قائمة بالفعل، لكن بوسائل القرن الواحد والعشرين، التي تختلف جذريًا عن حروب القرن العشرين الماضي، وما احتلال روسيا لشبه جزيرة القرم، والحراك الساخن في بحر الصين، والحروب الاقتصادية حيث انخفضت العملة الروسية إلى نصف قيمتها، والحروب الإلكترونية، وتموضع حاملات الطائرات الروسية فوق محطات كابلات الإنترنت في البحر الأبيض المتوسط، ثم تهديد الروس بقطعها، ما هي إلا حلقات في تلك الحرب، التي ربما تشكل إرهاصات لحرب كونية أشد سخونة، وما يجري في سورية ليس سوى حرب بالوكالة تنفذها الأطراف السورية

وتوابعها لحساب القوى الدولية والإقليمية.

وبينما يسعى الأمريكان إلى جر الروس إلى منطقة الشرق الأوسط بغية إبعادهم عن الصين غريم أمريكا وهدفها الأول، وإغراقهم في تعقيداتها من ثورات وحروب وانقلابات عبر تقديم سورية طعما مغريا، يطالب الروس بثمن استراتيجي دوليًا أكبرَ من سورية، ويريدون قبض الثمن بسرعة تجنّبهم المزيد من الخسائر، وتمنعهم من الغوص في الوحل السوري.

مقابل ذلك ذلك لا يبدو الأمريكان في عجالة من أمرهم، بل لا يخفون أنهم لن يتدخلوا لفرض أيّ حل في سورية، ويذهبون أبعد من ذلك بقولهم إنّ الحرب على تنظيم داعش قد تستغرق عشرات السنين! وهذه رسالة واضحة بأنهم غير مستعدين لدفع الثمن الذي يطلبه الروس، وأنهم ليسوا معنيين بالجانب الإنساني الذي تفرزه الحرب في سورية.

من هنا يذهب البعض إلى القول بأن الروس تعمدوا التحرش بالأتراك بغية فرض أمر واقع يجبر الأمريكان وبقية الأطراف على الجلوس معهم على طاولة المفاوضات حول تقاسم النفوذ من خلال سورية. ويدللون على ذلك بأن طائرتين روسيتين اخترقتا المجال الجوي التركي، إحداهما انصاعت لتحذيرات القوات الجوية التركية فعادت إلى الأجواء السورية، أما الأخرى فأصرّت على اختراق المجال الجوي التركي مما أدى إلى إسقاطها.

التطور الأهم في الاستراتيجية الأمريكية هو السّماح للقوى الإقليمية بتأسيس تحالفات محلية، للقيام بعمليات على المستوى الإقليمي، الأمر الذي لم يكن مسموحا به من قبل.

وأبرز مثال على ذلك عاصفة الحزم، مباركة الأمريكان للتحالف العربي تحت مسمى عاصفة الحزم بهدف التصدي للمشروع الإيراني في اليمن، وكذلك السكوت عن التدخل الإيراني السافر في سورية سواء من خلال قوات الحرس الثوري الإيراني بعناصر إيرانية، أو من خلال مليشيات حزب الله اللبناني وبقية الميليشيات الشيعية التي تجلبها من باكستان وأفغانستان والعراق وغيرها.

بإمكان الروس خلط الأوراق، وقلب الطاولة، وإحداث الفوضى والتخريب والتدمير، لكنهم يظلون عاجزين عن البناء، وحل المشاكل، وتأسيس النظام، وهم أبعد ما يكون عن فرض معادلة سياسية مقنعة مقبولة من جميع الأطراف.

النموذج الروسي للحل، هو الحسم بسياسة الأرض المحروقة وفرض سياسة الأمر الواقع، كما فعلوا في الشيشان، فبعد أن حرّقوا عاصمتها غروزني ودمروها، وتركوها أثرًا بعد عين، قاموا بتعيين عميلهم قاديروف حاكمًا قائمًا بأمرهم في الشيشان. هذا هو "الموديل الروسي" للحل الذي يسعون لفرضه في سورية. حافظ الأسد أخذ عنهم هذا الموديل في الثمانينات فهدم مدينة حماة بعد أن قتل من أهلها ثلاثين ألفًا ونجح بذلك في إخماد الثورة آنذاك، لكن مياهًا كثيرة جرت من تحت الجسر، فبعد ثورة النت، وتحوّل العالم إلى قريةٍ صغيرةٍ تنقل أحداثها اليومية فيها بثًّا حيًا مباشرًا فيطّلع عليه سكان المعمورة، لا يبدو هذا الموديل قابلًا للتطبيق في سورية على وجه الخصوص.

إن التحدي الأساسي أمام السوريين في هذه المرحلة هو الحفاظ على وحدةِ وطنهم أولًا، ثم التأسيس لقطيعةٍ أبديةٍ مع الاستبدادِ والدكتاتوريةِ أيًا كان شكله ومصدره.

ترك برس

المصادر: